

عنوان البرنامج: تفكيك خطاب التطرف
الوحدة الأولى: حلم الوحدة: المفهوم والمقتضيات
الدرس الثالث: حلم الوحدة (المقتضيات)
اسم المحاضر: الدكتور أحمد عبادي

حلم الوحدة (المقتضيات)

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

حُلْمُ الْوَحْدَةِ الذي يتم الترويج له، في مختلف المواقع، وفي مختلف المنابر، التي تتبناها هذه التنظيمات الداعية إلى التطرف العنيف؛ حلم يرتكز بالأساس إلى جملة من الآيات القرآنية، من مثل قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: 91]، وقول الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَيْثُ تَفَاتِهِمْ وَلَا تَمُوتُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 110-111]، وإلى قول الله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: 110-111]، وغيرها من الآيات، وكذلك كل الأحاديث النبوية الشريفة التي تم استمدادها من هذه المشكاة المباركة.

هذا الأمر بالوحدة، بطبيعة الحال ككل أمر في كتاب الله تعالى، أو في سنة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، له جملة من المقتضيات، وله جملة من الشروط، وله جملة من الإجراءات، التي تحفُّ تنزيله على أرض الواقع.

فهذه المقتضيات، في مقدمتها مقتضى البيعة الشرعية، ومقتضى الشورى المستدامة، وكل البنى والأنساق التي تُمكن من هذه الشورى، والتي هي الفريضة بين الفريضتين، كما يُسمِّيها العلماء لقوله تعالى في سورة الشورى: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ

وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣٥﴾ [الشورى:35]، لأول مرة في كتاب الله تعالى، تفرق فريضة الصلاة والزكاة بوضع فريضة الشورى بينهم، للدلالة على مركزيتها وعلى محوريتها.

أيضا يُرافق هذا التطلّبات، من حيث القدرات والمهارات، عند القائمين على تنظيم كل هذه الأمور بالشكل الذي يستجيب لمقاصد الشرع الحنيف بهذا الصدد.

ومن ثمّ فإن إلقاء هذه المسألة باعتبارها حلما، أو باعتبارها إعادة بناء ما انخرم، وترميم ما استرّم من هذه الفريضة، ومن هذا الأمر والمطلب، الذي هو مطلب الوحدة، دون النظر في كل ما يرافقه، من إعدادات، ومن أسباب، ومن شروط، ومن مقتضيات، ومن وسائل الفحص والتقويم والمتابعة؛ فإن ذلك يمكن أن يجزّ من المفاصد أكثر مما يُطلّب من المصالح، وهو الأمر الذي يتنا نشهده اليوم.

لا يخفى أن المؤمن تكون الأوامر الإلهية والأوامر النبوية عنده في أعلى ما يمكن من درجات الاهتمام، وبالتمع فإنها يكون لها هذا الحقل المغناطيسي الذي يجذب لكلّ من يُلوّح بتيسير القيام بهذه الأمور.

لكن إذا غاب هذا النظر المواكب، الذي هو نظر الفحص، لوجود الشروط والمقتضيات والأسباب؛ فإن العلماء أجمعوا على أنّ هذه داخلية في صنف المصالح التي يُرام تحقيقها، دون الإعداد لها حقّ إعدادها، فتتقلب مفاصد، وقد أفاض غير واحد من العلماء، وفي مقدمتهم ابن حجر العسقلاني رحمه الله في فتح الباري، أثناء تناوله حديث «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا».

فإذن هذه الفريضة، لاشك أنّنا في عالمنا اليوم، ينبغي أن نعيد النظر إلى كيفية إعادة كل الألق المطلوب لها، ولكن عبر مؤشرات، وعبر معايير، وعبر آليات قياس التنزيل، تكون بمثابة الضمانات لكون هذه المصلحة لن تشوبها شوائب المفاصد.

فإذن هذا عن حلم الوحدة، وهذا الحلم قد أصبح بالملحاحيّة الأكيدة، وفي أعلى درجة هذه الملحاحية ابتداءً من سنة 1924م، حين أعلن مصطفى كمال، الذي يُسمّى أتاتورك، أن هذه الخلافة قد انتهت، وأن كل دولة من الدول، ما عدا منطقة الأناضول، مُسلّمةٌ لنفسها، وبطريقة في غاية الفجائية، مما جعل الاستعمار يدلف إلى سوريا، وإلى لبنان، وإلى فلسطين، ورأينا ما رأيناه في سنة 1948م، من جراء هذه التداعيات، وأيضا مناطق البوسناق، أي البوسنة والهرسك، ومناطق ألبانيا، وكل هذه المناطق، التي كانت داخلية تحت الحكم العثماني أُسليمت لنفسها، ومنطقة مصر، وإن كان لها وضع خاص مع الخديويّة، أيضا تزعزت وتزعزحت فيها الأمور، مروراً بكل من ليبيا، وتونس، والجزائر.

هذا البلد، بفضل الله، كان محافظا على دوام كل مراحل وحقب تاريخه الإسلامي، على مؤسسة الإمامة العظمى، المتمثلة في إمارة المؤمنين، بهذا البلد المبارك.

لكن ابتداء من سنة 1924م، أُسْلِمَت هذه الدول لنفسها، ولم تكن قد دَرَبَت، ولا قد دَرَبَ مسؤولوها عن اتخاذ القرارات، كل القرارات كانت تأتي في شكل فِرْمانت من الباب العالي، من الاستانة، بمعنى أنه لم يكن عند المسؤولين هذا الاستعداد لبلورة القرارات، لتدبير وتسيير الشؤون العامة، فكان هناك عجز، وفتح هذا الأبواب على مصاريعها لكي يدخل الاستعمار، وكما سلف، إلى كل هذه المناطق، وأن تشبَّ الخلافات، وأن تقوم الثورات، التي كانت في الغالب لها نكهة بولشفية، متابعة للشق المتصل بوارسو.

فهذه الأوضاع، جعلت أفكار، ونظريات الرواد في العالم الإسلامي ساعتهذ، تُجْتال بسبب أز وضغط هذا الغياب، للجهة الصانعة للقرار، والمبلورة للقرار في المنطقة؛ فتم الاجتياح لكل الجهود، وتركيزها حول قضية الخلافة، فقامت جملة من الحركات، التي رامت إعادة بناء الخلافة، منها حركات إسلامية ومنها حزب التحرير، ثم بعد ذلك صيغة أخرى، هي الصيغة العروبية، والقومية العربية، التي كانت أيضا تُشهر هذا الحلم، الذي هو حلم الوحدة بصيغ متعددة، واستمر الحال على هذا الحال، في نظر لكون قضية الخلافة بمثابة القرص الذي يشفي من الأمراض كلها، والاختلالات كلها.

في حين، أن إعادة بناء الخلافة، وكما سلف، له كل المقتضيات المعلومة والمقررة، والشروط المسطورة عند أهل العلم بالنص، وعند أهل العلم بالسياق كذلك، باعتبار أن هذا البناء لا بد أن يمر من مراحل تربوية، وتكوينية، واجتماعية، واقتصادية، وفكرية، واستراتيجية، لكي يتم الوشج والوصل بين كل هذه الأبعاد، لإقامة هذه الوحدة، ولاسيما أن الزمن اليوم، بات يفرض التنسيق بين كل هذه الدول، الداخلة تحت لواء الوحي الخاتم، لكي يكون تدبير هذا الجمع للشمل، بطريقة فيها من الاستباق الاستراتيجي، ما يمنع كل أضرب النزاعات، أو المقايسات، أو المزايدات، التي بتنا نراها تُرفع من قبل هؤلاء الذين ادّعوا أنهم بنوا دولة الخلافة، وأسسوا لدولة الخلافة، واتخذوا هذا ذريعة لجذب كل من يتوق لهذه الوحدة، ومن لا يتوق لهذه الوحدة.

سوف نستأنف في لقاءنا القادم إن شاء الله، الحديث عن هذا الحلم، حلم الوحدة من أجل مزيد من التفصيل، وإلى ذلكم الحين أستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.